الاستثمار الفكري في اللغة مقاربة تحليلية للمقال الصحفي في ضوء جدلية اللغة والفكر

اعداد

د/ ضحى عادل بلال

أستاذ البلاغة والنقد المساعد - جامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل - السعودية

رحاب إبراهيم رأفت محمد السيد

محاضر – تخصص صحافة - جامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل – السعودية

Doi: 10.33850/ajahs.2020.68016

الاستلام : ٢٥ / ١٠ /٢٠١٩ القبول : ١٤ / ١٢ /٢٠١٩

المستخلص :

انطلق بحث " الاستثمار الفكري في اللغة " من فكرة مؤداها أن الفكر إن استُثمر استثماراً بناء على أسس سليمة ، وقيم راسخة جُنيت من خلاله الأرباح الكثيرة في أنماط الاستثمارات الأخرى ، وإن انحرف عن القيم الراسخة لمجتمعنا والمبادئ الإسلامية السمحة تحول إلى عنصر ضار يضعف المجتمع وأمنه واستقراره، ويترسخ ذلك من خلال مفردات اللغة التي تختزل في ثنايا فكر الكُتاب بالمقال الصحفي. اعتمدت الباحثتان المنهج الوصفي التحليلي ، سعيا لتقديم دعما تفسيريا واستدلاليا لدراسة نص المقال الصحفي، من خلال تحليل خمس مقالات. نتائج الدراسة: من خلال البحث والتقصي أتضح أن مصطلح "الاستثمار الفكري" هو مصطلح عصريٌ وجديدٌ أفرزته التحولات الاقتصادية الراهنة . الاستثمار الفكري يبدأ بالإنسان لينتهي بالإنسان ؛ لأنه المقوم الأهم في منظومة التنمية المجتمعية . تمتد المقالات الصحفية إلى ثوابت المجتمع وقيمه ، وهنا خطورتها ، وأهميتها في آن معاً ؛ لأنها تشكل حجر الزاوية في بناء الفرد ليكون ثروة قوامها رأس المال الفكري. المقال الصحفي يمكن أن يعد خارطة طريق للاستثمار الفكري ، الذي يرفد المجتمع بموارد بشرية تنتج اقتصاد المعرفة لا اقتصاد المال. اللغة في المقال الصحفي تخاطب العقل عن طريق دعوته إلى إعمال الفهم،، ومن ثم التوجيه للفعل والإنجاز. اتجاه المقالات في معالجة مختلف الأراء والقضايا بأهتمامات المجتمع علي الصعيد الإجتماعي والتربوي والاخلاقي و الثقافي،نحو الربط بين الموروث الثقافي والديني كقيم مجتمعية مع الحداثة وكذا الربط بين السلف والخلف من خلال تأصيل الحاضر بمعاني الماضي .

Absract:
The idea of the research is the intellectual investment upon right basis and authentic values leading to a great profit through other investment areas; consequently, the deviation from that will weaken the stability and security of the community. This is confirmed by the vocabulary of the language, which is reduced to the thought of writers in the journal article. The researchers adopted the descriptive analytical approach in an attempt to provide an explanatory explanation to study the text of the article by analyzing five articles. Results: Through research, it was found that the term "intellectual investment" is a modern and new term arising from the current economic transformations. Intellectual investment begins with man and ends with man, because he is the most important ingredient in the system of community development.Journal articles extend to the constants and values of society, and here comes its seriousness and importance at the same time, because they constitute the cornerstone in building the individual properly to be a well-based capital in thought. The journal article can be a roadmap for intellectual investment, which supplies society with human resources that produce a knowledge economy rather than a money economy.The language in the journal article addresses the mind by advocating the understanding, and then directing action and achievement.The tendency of the articles in addressing the different views and issues of the concerns of society at the social, educational, moral and cultural levels, towards linking the cultural and religious heritage as community values with modernity as well as linking generations, through the normalization of the present with the past.

مقدمة :

إن اللغة تحدد نظرة المجتمع للعالم المحيط بالإنسان الذي ينتمي إلى نمط ثقافي معين ؛ لأنها أكثر تأثيراً في الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة

متجانسة [١] ومن هنا تبدأ اللغة بتشيكل ملامح الهوية والانتماء ، التي لا يقتصر دورها على التضامن المكون للذات الجماعية الممتدة عبر المساحة الجغرافية الواحدة فحسب ، وإنما يمتد تأثيرها لتكون أداة تأثير في الفرد ، وتوجيه له ؛ مما يجعلها بعداً سيادياً يؤثر في تكوين الأنا الجمعية بمختلف مستوياتها: التاريخية، والجغرافية، والثقافية، والسياسية، والدِّينية. والحضاريَّة بإجمال ، وعليه فاللغة ميراث تاريخي وحضاري للأمة ، وإذا كانت اللغة كذلك فهي وبلا منازع من أهم محفزات الاستثمار الفكري ، الذي أصبح ضرورة لابديل عنها في طور التطورات المتسارعة التي تشهدها المجتمعات ، والتغيرات البيئة ، التي أدت للتحول عن الاستثمار بالمال إلى الاستثمار بالفكر، ويعتمد هذا الاستثمار على رأس المال الفكري الذي يعتمد على العنصر البشري بوصفه من أهم عناصر الثروة الحقيقة المتجددة بتجدد الفكر والإبداع.

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من ازدياد الحاجة لتنمية روح المجتمع وخاصة الشباب منه وتدعيم الفكر الناضج الواعي العارف بأهمية تأثيره في مجتمع يسعى إلى تحقيق تقدمٍ بناءٍ، من خلال التأثير الفكري النابع من كُتاب المقال والقابع في مفردات اللغة المستخدمة ضمن ثنايا المقال ، والتي تُعبر عن رأي الكُتاب بما يحملون من خبراتٍ تحمل في طياتها خلاصة تجارب ، وفكر نابض من حياة المجتمع مرتبط بتقدمه في حوار بين الكاتب والمتلقي يحرص من خلاله الكاتب على استثمار فكر القراء ، وتغذية عقولهم ونفويهم ، لترسيخ القيم الاسلامية والمجتمعية والسلوكيات التي تفرزها لغة المقال الصحفي في عقول الأجيال والتي تبدو جليه في فكر الكُتاب .

أهداف الدراسة:

١- التعريف بالاستثمار الفكري، وكشف مظاهره ، وبيان أهميته.

٢-كشف أهمية اللغة في تشكيل المنظومة القيمية للمجتمع، ودورها في تعديل سلوكيات الأفراد وممارساتهم الاجتماعية.

٣- الوقوف علي مظاهر جدلية اللغة والفكر في المقال الصحفي من خلال توصيفه وتحليل لغته..

مشكلة الدراسة :

في إطار العرض لأهمية الدراسة ، وأهدافها يمكن تحديد مشكلة البحث في التعرف على ما يحتويه مضمون المقال من حيث الفكرة وآلية العرض والأسلوب اللغوي ذي الدلالات المؤثرة، ومدي توافقه مع كيفية استقطاب القراء وخاصة الشباب منهم ،

[١]- علم اللغة بين القديم والحديث، عاطف مدكور، دار الثقافة والنشر والتوزيع،١٩٨٦، ص٤٩

والعمل علي تنمية أفكارهم واستثمارها من أجل النهوض بالمجتمع ، وتخطي حواجز الأمية الفكرية التي تفرز تطرفاً وغلواً .

ما يقدمه البحث من جديد :

تسليط الضوء على مصطلح (الاستثمار الفكري) بوصفه مصطلحاً جديداً أفرته التحولات الاقتصادية في العالم الراهن ، وبيان أهميته، وكشف تجلياته في المقال الصحفي من خلال جدلية اللغة والفكر عند الكاتب ، والذي يسهم من خلال فكره في تشكيل المنظومة القيمية للمجتمع، ويبني سلوكيات الأفراد وممارساتهم الاجتماعية بناء سليماً ؛ نظراً لما للغة الصحافة من تأثير مباشر وحي في التأثير والتوجيه.

تساؤلات الدراسة :

تنطلق التساؤلات من الطابع التحليلي لهذه الدراسة سعيا للوصول إلى جوانب الاستثمار الفكري في المقال الصحفي كما تضمنته المقالات المنتقاة ، حيث تسهم التساؤلات في عملية جمع البيانات من منطلق عناصر أهداف الدراسة والمشكلة البحثية، وما تقتضيه آليات تحليل الخطاب وأدواته البحثية من أنماط تحليلية ذات مغذي كيفي.

وبناء علي ما سبق جاءت التساؤلات علي الوضع الآتي:

١. ماهي مظاهر الاستثمار الفكري في المقال الصحفي؟
٢. كيف تتجلى جدلية اللغة والفكر في المقالات الصحفية عينة الدراسة؟
٣. ما مدي معالجة المقال لنوعية الموضوعات من خلال استخدام مفردات اللغة في الترسيخ لمفهوم الاستثمار الفكري؟
٤. نوعية الموضوعات المطروحة ومدي أهميتها لتحقيق الجانب الاستثماري في الفكر المجتمعي ؟

الإطار المنهجي للدراسة :

اعتمدت الباحثتان منهج الوصفي التحليلي وذلك سعيا لتقديم دعما تفسيريا واستدلاليا لدراسة نص المقال الصحفي في إطار توضيح ادراك المعني لدراسة السياق الخاص بالإنتاج الادبي ضمن مضمون المقال، وذلك في لإطار القراءة التأويلية لاستنباط الرموز والاشارات التي يشير إليها كُتاب المقال .

وأما آلية تنفيذ المنهج فكانت تقوم على تحليل بنية الموضوع وفكرته العامة ، استنادا إلى المستوي الكلي لنص المقال الصحفي بأكمله ، حيث اهتم التحليل بالوحدة البنائية بوصفها تمثل أفكاراً فرعية تتسق للكشف عن المدلول الكلي للمقال.

عينة الدراسة :

تم اختيار خمس مقالات بشكل عشوائي من مختلف الصحف بهدف قياس الاختلاف الفكري المؤثر في عرض مضمون الرأي ضمن المحتوي اللغوي للمقال ، وتحليل مدى اتساقه مع فكرة الدراسة.

١- قراءة في مصطلحات البحث:

أ-الاستثمار لغة واصطلاحاً:

- **لغة:**

الاستثمار: مصدر استثمر ، وأصله من الثمر وله معان عدة : منها مايحمله الشجر وينتجه لغة حمل الشجر، ومنه قوله تعالى: " كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ" [الأنعام: ١٤١] ، ومنها الولد بوصفه ثمرة القلب ، ويطلق مجازا على أنواع المال المستفاد ومنه قوله تعالى: " وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ" [الكهف: ٣٤] ، ومعنى ثمر ماله: نماه. يقال: ثمر الله مالك أي كثره. وأثمر الرجل: كثر ماله. والعقل المثمر: عقل المسلم[٢]، والثمرة فهي واحدة الثمر ، فإذا أضيفت إلى الشجر فهي حمله ، وإلى القلب فهي مودته ، وإلى الشيء فيراد بها فائدته[٣] ، الثامر: ما خرج ثمره ، والمثمر: ما بلغ أن يجنى [٤] ومجمل معنى الاستثمار لغة يدور حول أن ثمرة الشيء منفعته، وما تولد منه، ولم يرد لفظ الاستثمار بمعناه الاقتصادي في معاجم اللغة .

- **اصطلاحا:**

هو من المصطلحات الحديثة في علم الاقتصاد المعاصر ، ويعني : " التوظيف الحالي للثروة لفترة زمنية قادمة بهدف الحصول على عوائد أو تدفقات نقدية مستقبلية تعوض المستثمر عن الزمن الذي يستغرقه حبس تلك الأموال في الاستثمارات التي يختارها".[٥]

وهذا يدل على أنه : " عملية اقتصادية مدروسة من قبل شخص طبيعي أو قانوني تقوم على أسس أو قواعد علمية أو عقلانية بموجبها يجري توجيه أصول مادية أو مالية أو بشرية أو معلوماتية نحو تحقيق عوائد اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو

---

[٢] - تهذيب اللغة ، أبو منصور الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري المحقق: محمد عوض مرعب ، ط١ ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ،٢٠٠١م، مادة (ثمر)

[٣] - لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل ، ط٣ ، بيروت: دار صادر ، ١٤١٤ هـ، مادة (ثمر)

[٤] - المصدر نفسه ، مادة (ثمر)

[٥] - محافظ الاستثمار إدارتها، واستراتيجياتها ، محمد مجد الدين باكير، شعاع للنشر والعلوم ، ٢٠٠٨ ، ص ١٥

علمية ...في المستقبل بتدفقات مستمرة عادةً تضمن قيماً تتجاوز القيم الحقيقية الحالية للأصول الرأسمالية "المطلوبة[٦] "
وبذلك يمكن عد الاستثمار ينحو بمنحى العائد المخطط له من أجل تحقيق ربح قد يكون على المدى القريب أو البعيد كتوطئة للتنمية الهادفة للتطور والرقي في مجالات الحالية كافة .

ب-الفكر لغة واصطلاحاً :

- **لغة :**

يقال فكر الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء[٧] ، إعمال الخاطر في الشيء، والفكرة: كالفكر، وقد فكّر في الشيء، وأفكر فيه وتفكّر بمعنى، ورجل فكير: كثير الفكر، والتفكرُ: التأمل، ويقال: ليس لي في هذا الأمر فكر، أي: ليس لي فيه حاجة[٨].

- **اصطلاحاً :**

فقد يراد به الكيفية التي يدرك بها ، وينظر إليه على أنه أداة التفكير ويعرف بأنه : " إعمال الإنسان لإمكاناته العقلية في المحصول الثقافي المتوافر لديه بغية إيجاد بدائل أو حل مشكلات أو كشف العلاقات والنسب بين الأشياء " [٩]وقد يراد به جميع المعطيات التي يصلها العقل في معرفته للأشياء فيعدُّ : " جملة من القضايا أو الآراء النظرية في مجال من مجالات المعرفة تؤسس للعلم في هذا المجال ، كما تقوم ببعض وظائف العلم مثل (التفكير والتنبؤ) وهذه الجملة من التفكير والآراء قابلة للتطور وللتغيير وعاكسة في كل ما تقدم ذكره ظروفاً بيئية وفردية "[١٠] إذا تضيق دائرة الفكر وتتسع تبعاً لمنطلقات المحدد لمفهوم الفكر .

ج - الاستثمار الفكري مركباً :

مصطلح عصريٌ وجديدٌ، وهو مركبٌ من كلمتين :الأولى (الاستثمار) والمراد به الاستثمار المرتبط برأس المال البشري ، والأصول غير المادية ، والتركيز على العائد بوصفه حصانة فكرية لحماية المجتمع عامة ، والشباب خاصة ، والكلمة

---

[٦] - الاستثمارات والأسواق المالية، هوشيار معروف، ط١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م ، ص ١٧

[٧] - معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مادة (فكر)

[٨] - لسان العرب مادة (فكر)

[٩] - الفكر طبيعته وأهميته ، عبد الكريم بكار ، مجلة البيان ، العدد ٩٦-شعبان ١٤١٦-يناير١٩٩٦م ، ص٢

[١٠] - الثقافة الإسلامية مفهومها ، مصادرها وخصائصا ، مجالاتها، عزمي طه السيد وآخرون ، ص٥٠

الثانية (الفكري) هنا لانقصد به التفكير ، أي إدراك المعقولات وتأملها وإنما نقصد به كل ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من ثقافة وقيم مجتمعية ، ومبادئ أخلاقية ، وكل النظريات القائمة في المجتمع التي تؤطر تصورات الإنسان للإنسان وللحياة وللكون والمراد بمصطلح الاستثمار الفكري مركباً " بناء سلامةُ فكر الانسان وعقله وفهمه من الانحراف ، والخروج عن الوسطية والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتطرف"[١١]إنه استثمار مرتبط بالتقويم السلوكي للمواطن وتهيئته لتأدية دوره المنوط به في عملية التنمية المستدامة مما يكفل بدفع عجلة التطور وديمومتها.

د- المقال الصحفي:

- **لغة:**

إن ماورد من دلالة لغوية لكلمة مقال مأخوذ من (القول) بمعنى الكلام ، أو ما يتلفظ به اللسان ، ووردت في لسان العرب مصدر ميمي للفعل (قال) ق مثلها مثل : قول أو قيل . وذكر ابن منظور أن مقالاً قد تستعمل مجازاً للدلالة على الحال مستشهدا بقول عمر بن الخطاب :

تحنن عليّ هداك الله فإن لكل مقام مقالا[١٢]

أي أن كل مقام أو حال يستدعي أن يتناسب مع معطيات الواقع أو الحال المحيط بالقول .

- **اصطلاحا:**

قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق وشرطها الاول ان تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب [١٣]. وفي دائرة المعارف البريطانية " المقال هو الإنشاء المتوسط الطول ، يعالج موضوعاً معيناً على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع ، ويكتب عنه من وجهة نظر واحدة "[١٤].

" عادة مجرد عرض أو تحليل لفكرة معينة يتلقفها الكاتب من بيئه فيعبر عنها بأسلوب سهل قريب إلى الأذهان ، دون حاجة إلى تمحيص و عمق ، بل يوشك المقال أن

---

[١١] - الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، حيدر عبد الرحمن الحيدر، ط١، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، ص ٤٥

[١٢] - لسان العرب ، مادة (قول)

[١٣] - فن المقالة ، محمد يوسف نحم، ط٣ ، بيروت: دار الثقافة ،١٩٦٣- ص ٩٣-٩٥

[١٤] -فن المقال الصحفي ، سليمان موسى فضالة ، ط١ ، عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان : نبلاء ناشرون وموزعون ، ٢٠١٥ ، ص١٥

يكون حديثا عاديا سلسا مختصرا بين الكاتب و قرائه ، يشترط فيه الإبتكار و التجديد و السرعة "[١٥] وهو بهذا يمثل جانب الرأي الحر في الصحف والمجلات بقلم محرر كبير أو كاتب من أعضاء الأسرة الصحفية أو خارجها يطرح فيه ما يعتقد أنه في حاجة إلى شرح وتعليق من أفكار وخواطر وآراء تعكس فكره من جهة وتلتقي بنبض القراء وباهتماتهم من جهة أخرى الأفكار والخواطر والآراء ووجهات النظر المتصلة بفكر الكاتب من جهة وبنبض القراء واهتماماتهم من جهة أخرى[١٦]

٢-اللغة والاستثمار الفكري:

لا جدال في أن اللغة العربية تُقبل اليوم على أداء دور حيوي وجديد في الاستثمار الفكري الذي يبدأ بالإنسان ويمر في كل مرحلة من مراحله بالإنسان ، لينتهي بالإنسان ، والحقيقة أن هذا الدور للغة ليس بالجديد ، وإنما هو من سالف ما أدته اللغة في منظومة المعرفة والحضارة البشرية ، ولكن الجديد هو تحويل الفكر إلى قيمة ربحية تنافسية في التنمية المستدامة ، فالاستثمار بالمال لم يعد يتصدر القيمة الأولى في التنافسية العالمية ففي عام ٢٠١٥-٢٠١٦م ، إذ أصدر المنتدى الاقتصادي العالمي ، الذي يعطي ترتيباً عاماً لمدى تقدم المجتمعات - وهو الترتيب المعتمد عالمياً - أن بعض الدول مثل سنغافورة وماليزيا واليابان تتصدر قائمة الترتيب على الرغم من أنها لا تمتلك ثروات وموارد مادية ملموسة ، وإنما امتلكت موارد من نوع آخر شكلت الثروة التي استثمرت منها،[١٧] إنها وظفت بكفاءة عالية رأس المال الفكري الذي أصبح يلعب دوراً رئيساً في بناء الوعي المجتمعي والتنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية .

وعن علاقة اللغة بالاستثمار الفكري نؤكد أن الفكر ينتج اللغة ، كما أن اللغة تنتج الفكر . ولا سبيل لوجود أحدهما دون الآخر [١٨]. لأن اللغة لا تنقل الفكر فقط وإنما تسهم في صياغته وتشكله ، ثم إن الفكر لا يسبق اللغة في الوجود ، وإنما يتشكل بها وهو لا يملك لنفسه تطوراً و لا ثباتاً إلا إذا كان ضمن لغة من اللغات[١٩]. يقول

---

[١٥] - تاريخ الصحافة العربية ، أديب مروة ، (د.ت) ، ص ١٨٣

[١٦] - فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق «المقال الصحفي» ، محمود أدهم ، مكتبة الأنجلو مصرية (د.ت) ، ص١٣

[١٧] - رأس المال الفكري ودوره في جودة الأداء المؤسسي ، ميسون علي محمود عبد الهادي ، رسالة ماجستير : جامعة غزة ، ٢٠١٧م، ص١٧

[١٨] -المشاكلة والاختلاف ، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه المختلف ، عبدالله الغذاممي ، المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٤،ص٢٥

[١٩] - . الكتابة الثانية ، و فاتحة المتعة ، منذر عياشي ، المركز الثمافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٩٩

كاسيريز في هذا المعنى : " الفكرة لا توجد قبل اللغة ، إنها تتشكل في اللغة وبواسطتها "[٢٠].

و مما يؤكد تلازم اللغة و الفكر أن نشأتهما واحدة ، إذ أن اللغة نشأت موازية لنشأة الفكر والتلازم بين النطق و التفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداية نشأة الكلام الإنساني ، وكان إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه البداية الأولى في تكوين التفكير الإنساني ، وقد نطق الإنسان الأصوات ليستخدمها وسيلة لنقل أغراضه للآخرين و فهم أغراضهم[٢١] .

ومن ثم أصبحت اللغة موجها للفكر ، وكذلك الفكر يؤثر تأثيراً واضحاً في صياغة تراكيب اللغة صياغة تلائم حاجات مستخدميها ، فاللغة تشارك الفكر حدوثه لأنه يتجسد من خلالها ، وكذلك فهي محرضة وباعثة له وتعمل على تطويره وتشكله.

ومن هنا فالحديث عن أثر اللغة في الاستثمار الفكري يتجاوز وصفها مجرد تشكيل رمزي لمقاطع صوتية، كونت نظاما اصطلاحيا يصف الاشياء من حولنا، كما يصف حركتنا وأفعالنا لغاية وظيفية ، لتغدو اللغة نقطة البداية في الاستثمار الذي يبدأ من عالم العقل والفكر ومنهج التبصر والاستبصار ، وعلاقتنا مع الآخرين ، والمحيط الخارجي ، وقد أكد علماء أنثربولوجيا اللغة إننا نستعمل الكلمات لنوجه انتباه السامعين إلى شأن أو مسألة [٢٢] ، ونهدف من ذلك إلى التأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف [٢٣]، ونظراً للدور الحيوي المنوط باللغة في عصرنا الحاضر فقد تبوأت موقعاً فريداً على " خريطة المعرفة الإنسانية ، يؤكد أنها ركيزة أساسية للمعرفة ، ووسيلة لاغنى عنها لفهم تاريخ تطور الفكر الإنساني ، وتحليل مظاهرحاضره واستشراف مستقبله " [٢٤]، ونعتقد أن الإعلام من أكثر المجالات الحيوية تداخلاً مع اللغة ؛ نظراً لأن عملية الإعلام والاتصال الجماهيري تتم عن طريق اللغة ، فاللغة ليست نسقاً من الإشارات والرموز المتواضع عليها ،

---

[٢٠] -اللسانيات والدلالة والكلمة ، منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري العربي : حلب ، ط١ ، ١٩٩٦، ص٧٤

[٢١] -النظرية اللغوية الحديثة ، جعفر دك الباب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٦، ص١٨٤

[٢٢] -اللغة والتفسير والتواصل ، مصطفى ناصف ، سلسلة عالم المعرفة ١٩٣، الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، يناير، ١٩٩٥، ص١٠

[٢٣] -التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، دار الشروق ، (د.ت) ، ص٩

[٢٤] - تكنولوجيا تعليم اللغة العربية ، تيسير الألوسي ، مركز الكتاب الأكاديمي ، ١٤٣٦،ص٧٥

يتداولها الناس للتواصل فقط ، وإنما هي من أهم وسائل الاتصال لما لها من أثر في التغيير والتوجيه والتشويق والتنشئة الاجتماعية والتوعية الثقافية والسياسية ، ولذلك يجب أن نعرف كيف نوظفها وكيف نستخدمها في وسائل الإعلام ؛ لتغدو سبيلاً من سبل الاستثمار الفكري بوصفه أمناً قومياً ووطنياً ، لاسيما ونحن نعيش على وقع تحولات جذرية عميقة في البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية في عصر اشتد فيه الصراع من خلال الخطابات الإعلامية في سبيل التعبير عن الايديولوجيات واستراتجيات الهيمنة الفكرية ، فانتشرت حرب الأفكار ، ووُظفت اللغة في الإعلام لخدمة هذه الحرب ، ومن هنا ينبغي أن يكون من بديهيات القناعات العربية المعاصرة الإيمان بأن اللغة العربية التي سادت على مدى أكثر من ستة عشر قرناً بصفتها لغة تاريخ واحد ، وتراث عريق وثقافة قومية ومصير قادرة على أن تصارع في إطار منظومات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية في سبيل تحقيق مقاصدها الإيديولوجية والاستراتيجية ، و خدمة مصالح القوى التابعة لها اقتصاديا وسياسياً وفكريا من خلال إعادة تمثيل علاقات الهيمنة والتبعية في صورة معاني وجمل ذات تأثيرات دلالية في سياق البناء اللغوي[٢٥] ، وهنا تكمن أهمية اللغة في وسائل الإعلام للانتصار في الحرب الفكرية من خلال الاستثمار الفكري كونه يشكل مورداً لثروة تستثمر في التنمية المستدامة على المدى البعيد .

وما دامت اللغة هي الرابطة الكبرى بين المقال الصحفي والمجتمع، فإن النظرة المستثمرة للغة يقتضي ألا ننظر إليها على أنها تلك الكلمات التي تتشكل منها الرموز الأبجدية المجردة خارج سياق منشئها ودلالتها ، أو هي مجموعة من القواعد المتعارف عليها ونسميها بعلم النحو ، وهي لا يمكن أن تكون " مجموعة من الأصوات " [٢٦] فاللغة ليست هذا فقط ، ذلك لأنها بمفهومها الاجتماعي سلوك فردي وجماعي، وهو المفهوم الذي يقرب الشُّقَّةَ بين اللغة والمقال الصحفي ، إذ تمتاز لغة المقال الصحفي بأنها لغة "المغزى والمعنى والأهمية؛ لأنها تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والإشراق، بحيث تكاد تكون فنًّا تطبيقيًّا قائمًا بذاته " [٢٧].

وتأسيسًا على القول السابق ، فإنه ينبغي التنبه على أن لغة المقال الصحفي تستمد قوة تأثيرها من الارتباط بالواقع، ومن الحياة العامة ، وإمكانية فهمها من

---

[٢٥] - اللغة والتحرير الصحفي –قراءة في مفهوم اللغة الإعلامية وسماتها، محمد يرقان ، مجلد الحضارة الإسلامية، مجلد١٨-عدد١٤٣٩,١هـ-٢٠١٧م ص١٤

[٢٦] - الخصائص ، أبو الفتح ، عثمان بن جني ، تحقيق علي النجار، دار الكاتب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج٣٤/١.

[٢٧] - فن المقال الصحفي في أدب طه حسين ، عبد العزيز شرف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص١٠٢.

شرائح المجتمع كافة ، " لأن نجاعة الخطاب ترتبط بمدى الاستناد إلى التوافق الموجود بين المرسل والمتلقي المستهدف ، ومدى تلاؤم هذا الخطاب مع مستواه وتطلعاته " ونظراً لذلك يجب أن تشكل لغة المقال الصحفي منظومة فكرية تراعي مستوى القرَّاء وثقافتهم، للحصول على رضا قرائه في الوقت الذي تعمل من خلاله على تشكيل وعيهم ، ورسم رؤاهم المستقبلية ، وتوجيههم إلى التصرف في الاتجاه المرغوب فيه ؛ مما يجعل القارئ شريكًا في الحكم على القضايا المطروحة في المقال الصحفي ، وتتحول اللغة في المقال الصحفي إلى حقيقة حوارية يتواجه فيها عالمان لغويان قد يكونا مختلفين وقد يكونا متفقين ، ولكنهما في النهاية يجب أن يصيران تدريجيا متفاهمين فكرياً ، مما يؤهلهما ليكونا أساساً متيناً من أسس التنمية المستدامة وهذا بالتحديد ما نقصده بأهمية الاستثمار الفكري في المقال الصحفي.

الدراسة التطبيقية:

١- المقال الأول (أجيال دون ظلال)
٢- المقال الثاني (فرس جرير ورؤية ٢٠٣٠)
٣- المقال الثالث (خلك رجال)
٤- المقال الرابع (علبة سردين وصحن فول)
٥- المقال الخامس (لماذا نحب الحب)

المقال الأول:

أجيال دون ظلال[٢٨]

في مرحلة الصِّبا المبكرة كنا نلازم آباءَنا كظلالهم؛ روحةً للمسجد وغدوةً منه، وذهابًا إلى السوق وعودةً منه، وانتظامًا في مجالسهم وخدمةً لهم، وعنايةً بمخرجات أحاديثهم، وتأملًا في مدخلات تكوينهم؛ فامتلأنا بما نرى ونسمع، ووعينا دلالاتها وإن لم نستوعب فواصلَها، وانعكست على كل طفلٍ طبيعةُ والدِه « أو وليِّ أمره» واهتماماتُه، وما يزال جيلنا مسكونًا بما علِمه خلال فترة الصبا وما تعلّمه، ولم يكن تأثير الأم أقلَّ، بل ربما فاق تأثير الأب، لكن الحديث هنا ذو مسارٍ ثقافي مختلف.

كان الدرسُ الأهم في ذلك العمر المبكر الصمتَ في حضرة الكبار بإصغاءٍ غير مفتعل خلقته دهشةُ المتابعة لما يقولونه وما يفعلونه وما يتحاورون حوله، ومن عاش في ظل أبٍ متعلمٍ ومكتبة منزلية متنوعة وأصدقاءَ مستنيرين فلن يخطئه المزجُ المتزن بين الأفكار المجردة والواقع المُعاش دون التيه في تناقضاته وصدماته، ومن

[٢٨] - الجزيرة : إبراهيم بن عبد الرحمن التركي ، ١٥نوفمبر-٢٠١٨م ، صحيفة سعودية يومية تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ومقرها العاصمة الرياض. أسسها الشيخ عبدالله بن خميس وصدر عددها الاول كمجلة شهرية في أبريل ١٩٦٠م

غير أن ينفصل الأغلبية أو تنفصم شخصياتهم لوجود مرجعية مستعدة لحمايتهم من اللوثات والتلوثات في مرحلة مضطربة أرهصت لنكبات العرب وأعقبتها.

ربما ميَّز جيلَنا انعتاقُه قليلًا من الإسار المؤدلج أو المدار المبرمج؛ فلم يفتتن أكثرنا بالتجربة الناصرية التي سكنت وجدان الجيل الأكبر منا، مثلما لم تستطع الشعارات القومية اجتذاب اهتماماتنا، لكننا عشِينا بجدليات الدين والتراث والإيمان والإلحاد والإبهار والانبهار، وفينا من توقف حول مغازي الوعظ وأدبيات الخُطب، وشكك في جدوى الإبداع المترسم عبر خطى النظَّامين، وتساءل عن إثارة المشاعر في اتجاهٍ أحادي للتخلص من آثار الهزائم، وهو ما أشعل الجدل بين الإسلامويين والعروبيين بوصفهما فريقين متضادين يحمل كلٌ منهما مشروعه الخاص بالنصر.

تلك هواجس جيلٍ اكتهل بل شاخ وصار أقليةً تنتظر الرحيل؛ فما الذي حكم ويحكم أجيال اليوم ؟ وهل يجدون ما يسمو بهم ليُديروا حوارًا حول الغد لا يُفسده استقطابٌ أو يسكنه ارتياب ؟ وإذا كانت مدارات زمننا لم تُوثقْ بما يُعطي أحكامًا موضوعية فإن أجيال اليوم تحتفظ بتسجيلاتٍ لتجربتها لا يقطعها صمتُ الاستماع أو توجيه الاتِّباع، ولا يحتاج الباحث لمعرفة مستويات أغلبية الشباب ؛ فلهم قنواتهم الرقمية القادرة على التوصيل والتواصل.

يُعوزُ معظمَهم الأبُ المتفرغ لهم والمكتبة المؤصلة لأذهانهم والرموز القادرة على إقناعهم؛ أفيكونون جيلًا دون أساتذة لا تنقصهم الجرأة وإنما الفهم والتفاهم ، وإذ توارت ثلةٌ عن الإفصاح تأسيًا حينًا وتوخيًا للحق أحيانًا فقد بقي فيهم من يسبق قولُه تفكيرَه ويسلبُ اندفاعُه دفاعَه من غير أن يجد في أوساطه ما ينأى بهم عن الغوغائية والارتماء.

لا ريب أن لدى جيل اليوم إمكاناتٍ لم تتوافر لسالفيهم، وحين يُحسنون توظيفَها سيجد أبناؤهم ما يعتزون به توجيهًا وما يضيئُهم اتجاهات.

للظلِ جلالُه وجماله.

- **جدلية اللغة والفكر**

ارتد الكاتب بفكره إلى أعماق ذاكرته ، وتحديداً إلى مرحلة مهمة من مراحل التنشئة، إنها مرحلة الطفولة ، وعلى الرغم من ان هذه المرحلة لاتتميز بالنضج الفكري آنذاك إلا أن الكاتب جعلها ثرية مستقبلاً ، إذ استطاع من خلال تقنية الاسترجاع أن يضمنها تفاصيل جادة من مراحل تكوينه العقلي، ومواقف نفسية خصبة أغنت شخصيته ، وجعلتها موثوقة ، وهذا ما جعل كلام الكاتب مجالاً خصباً للاستثمار الفكري في القراء، فهو يتمتع بمحور مهم من محاور بلاغة الإقناع ، وهي المصداقية ، التي يكون المتكلم فيها أهلاً للنقد والتوجيه ؛ لأنه صادق التجربة .

وبنى الكاتب مقاله بناء فنياً متوازناً في عرض فقراته التي ضمنها أفكاره المنظمة ، إذ قسمها إلى سِت فقرات ، تضمنت الفقرة الأولى مقتطفات من حياته في علاقته مع والده ، والفقرة الثانية سرد الدروس المستفادة من رفقته لوالده ، فيما تطرق في الفقرة الثالثة إلى انعكاسات هذه الدروس على بني جيله بوصفه فرداً من هذا الجيل ، والفقرة الرابعة تضمنت مقارنة بين معارف الجيلين وما اكتسباه من السلف ، أما الفقرتين الخامسة والسادسة فأجمل فيهما الكاتب ما يفتقده الجيل الحالي مع التنويه إلى مميزاته.

بدأ مقاله بمقدمة سردية حول حياته ومعاصرته لجيل الآباء ، وانتهي بخاتمة نقدية لما عليه الأجيال الحالية.

كان توجه الكاتب توعوياً ، ذا أسلوب تحليلي ناقد، وهو أسلوب يستخدمه الكُتاب المتمرسون الذين يعدون مقالاتهم بعناية حيث يتكون المقال من حقائق موضوعية ، وتجارب مر بها الكاتب من حيث معاصرته لجيل السلف والخلف ، فربط الماضي بالحاضر ، وتوقع المستقبل ؛ ونتيجة لتلونات الزمن التي جسدها ، اتصف مقاله بضبابية في بعض المعاني والتي تقلل من يسر الأنقرائية الصحفية ، حيث استعمل الكاتب ألفاظاً ضخمة وغير مألوفة في بعض المواضع تتنافي مع السهولة والعذوبة التي تُعد من السمات الأساسية للمقال الصحفي مثل (اللوثات والتلوثات ، الإرساء المؤدلج أو المدار المبرمج و تعبير لا يفسده استقطاب أو يسكنه ارتياب، وكذا توارت ثُلل و الغوغائية)، والتي قد تشتت ذهن القارئ في مكان ما بمحاولة تفسيرها ، مع التنبيه أن ذلك لم يؤثر علي وضوح الفكرة العامة للمقال . وقد ضمن الكاتب مقاله مضمرات حجاجية بوصفها وسائل إقناعية ، ومحفزات استثمار فكري حرص الكاتب على أن يدخره في بناء جيل اليوم ليثمر في أبناء الغد.

واحتوى المقال على عتبات حجاجية:

الأولى تتعلق بجيل الكاتب: وردت في استهلالية المقال صيغة حجاجية شبه منطقية وهي المطابقة ، إذ اعتمد في حجاجه أسلوباً بلاغياً " نلازمهم كظلالهم" وهو مجاز متداول ترسخ في أذهان العامة والخاصة بمدلول التبعية المطلقة ، ولكن الكاتب فرغه من هذا المدلول الذي قد يتبادر إلى جيل اليوم ، إذ جنب نفسه وجيله ، صفة الإقصاء ومصادرة التفكير ، من قبل الآباء خاصة والمجتمع عامة ، وشرع في الكشف عن كنهه ، إنه تطابق ذو بعد ديني أولاً ، وقيمي ثانياً ، وحصر تصوره عن هذه المطابقة بالجلال والجمال عندما ذيّل مقاله بعبارة " للظل جماله وجلاله" ، وحرض ذهن القارئ على الانفعال بهذه الحجة ؛ ليجعلها توجيهية في شخصية المعرَّف به –الآباء- تمهيداً لغرضه الحجاجي المتمحور حول الحصانة الفكرية العائد الربحي المعنوي من هذه التبعية .

الثانية تتعلق بالجيل المؤدلج : ووظف الكاتب حجة المقارنة لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين جيل الكاتب الذي تمتع بحصانة فكرية وبين جيل مؤدلج منقسم على نفسه لغياب الوعي المجتمعي المفتقر و الممهد للأمن الفكري ، إن الجدل سمته والهزائم ، وهكذا

المقال الثاني :

فرس جرير ورؤية ٢٠٣٠[٢٩]

ورد في الأثر قصة عجيبة فريدة من نوعها، تمثل منهج حياة لتطوير الأمم!! فدعونا نتأملها سوية، ثم نرى ما علاقتها برؤية ٢٠٣٠!!

فقد روى أبو القاسم الطبراني أن جَريرًا أمر مولاه بأن يشتري له فرسًا؛ فاشترى له فرسًا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبدالله. فقال: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة، وصاحبه يرضى، وجرير يقول: فرسك خير.. إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها، فقيل له في ذلك، فقال: "إني بايعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على النصح لكل مسلم".

هذا الحس الإسلامي القيمي المرهف هو جوهر العزة والتمكين للمسلمين. وبذلك الحس المرهف المبني على الشفافية والصدق مع الذات والآخر استطاع الإسلام أن يصل لأصقاع الأرض، ويدخل فيه الملايين طوعًا وحبًّا له.

وهذا الحِسُّ المتشرب بالصدق والإخلاص للآخرين، حتى لو كان ذلك على حساب الذات ومصالحها، هو المقوم الرئيس للنهضة الإسلامية وسيادة المسلمين على العالم خلال قرون طويلة. وهو حِسٌّ نابع من صلب الهدي النبوي.

وهو الحس النبوي ذاته الذي ينص على أنه "لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه"، وهو أيضًا المنبع ذاته المشار له في القاعدة النبوية الإدارية "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". فلولا صبغة الإتقان التي يتمتع بها ذلك الصحابي الجليل لما تملك شغاف قلبه إتقان عملية بيع الفرس بشمولية ومصداقية وشفافية، تتعدى مصلحته لمصلحة الآخرين.

والسؤال الكبير بكِبَر وطننا الغالي يقول: أين نحن المواطنين من هذا الإحساس المرهف المليء بالصدق والإخلاص والشفافية والإتقان مع النفس ومع الآخرين؟ لنتخيل لو أن كل مواطن يملك ويعمل بذلك الحس المرهف، أين سنكون؟ وإلى أين سنصل؟

---

[٢٩] - صحيفة سبق ، فرس جرير ورؤية ٢٠٣٠ ، عبد الرحمن القحطاني ، ١٧ ديسمبر ٢٠١٨ - ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٠.

قطعًا مجتمعنا فيه الخير، لكن إلى أي مدى يصل لذلك الحِسِّ المرهف المُثْقَن؟ وبلا شك لو عشنا ذلك واقعًا نحياه صباح مساء لأصبحنا قادة الأمم، وصنّاع الحضارة المادية والقيمية القائمة على العدالة والإتقان والرحمة.

تنص رؤية ٢٠٣٠ بأننا نحيا وفق مبادئنا الإسلامية التي تمثل منهج حياة لنا، ومرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا.. وتشير إلى أن نقطة انطلاقتنا نحو تحقيق الرؤية هي العمل بتلك المبادئ الإسلامية، بما في ذلك مبادئ الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافيّة التي تُشكل مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتّى المجالات.

وفي بُعد آخر تنص الرؤية على أنها تسعى إلى العمل وفق معايير عالية من الشفافية والمساءلة والحوكمة الرشيدة معتمدة على ثقافة الأداء في جميع أعمالها، وأنها لن تتهاون أو تتسامح مطلقًا مع الفساد بكل مستوياته.. وسيشمل ذلك اتخاذ كل ما هو ممكن لتفعيل معايير عالية من المحاسبة والمساءلة.

هذه المنطلقات القيمية في الرؤية تجعلنا نتساءل: أين دور القطاع الإعلامي والتعليمي والدعوي والاجتماعي في تحقيق وترسيخ تلك القيم والمبادئ؟ أين البرامج والمبادرات الوطنية المصنوعة بأعلى معايير الاحترافية والعمل المؤسسي لزرع قيم الإخلاص والشفافية والإتقان والانضباط في حياة كل مواطن مهما صَغُر أو كَبُر؟

متى نجد مثل جرير وفرسه في قطاعاتنا الحكومية، بل في كل مدرسة وجامعة ومركز أو إدارة حكومية أو إعلامية؛ لتكون تلك القيم هي المحرك الرئيس لسياساتنا واستراتيجياتنا؟

وفي المقابل، نرى بكل ألم وأسف بعض الاجتهادات الفردية الخاطئة من بعض القطاعات في أنشطتها التي تتعارض مع مبادئنا لتصيب شريحة كبيرة من المجتمع بالإحباط، وكأننا لا يمكن أن نأخذ إيجابيات الحضارة الغربية إلا بأخذ مساوئها معها كتلة واحدة!!

على كلٍّ، فالطريق لتحقيق أهداف الرؤية القيمية طويلة، لكنها غير مستحيلة أمام قيادة رشيدة، يقودها ملك العزم والحزم سلمان بن عبدالعزيز، وينفذها ويلهمها ولي عهده الأمير محمد بن سلمان، وفي مجتمع متعطش لذلك، وراغب فيها.

ولعل أول الطريق تأهيل مزيد من القيادات الوطنية المؤهلة تأهيلاً عاليًا في القطاعات الحكومية ممن تؤمن بمبدأ "الإتقان" و"الشفافية" و"المصداقية"، ومبدأ "أن تحبَّ لأخيك ما تحبه لنفسك"، وتبني مبادرات قيمية وطنية احترافية، تدخل في أعماق قيمنا وثوابتنا.. فهل يمكن تحقيق ذلك؟عنوان مشوق يضع القارئ في تساؤل عما هو فرس جرير وعلاقته برؤية ٢٠٣٠ ليبدأ بالقراءة التي تقوده نحو مقدمة تشويقية تلاها بعرض واستهلال مختصر لقصة من التراث العربي فيستطرد تباعا التفاصيل، ليصل نهاية المقال ويعرف مغزي الفكرة من المقال.

- جدلية اللغة والفكر:

بدأ جسم المقال بالربط بين القيم المستفادة من القصة في ظل تعاليم الاسلام التي تنتشر من خلالها ، ثم تبعها بتساؤلات وأمنيات مستقبلية لحال الأمة إن التزم الجميع بتعاليم الإسلام وحسه النابع من الكتاب والسنة ، فتطرق في فقرة لاحقة لعرض التزام الرؤية بمبادئ الإسلام والعمل من خلالها وبذلك فهي تتوافق مع فكرة المقال التي يسعى الكاتب لإيصالها ،استتبعها بتساؤلات توحي بالاستنكار حول مدى تنفيذ ما نصت عليه الرؤية في المجتمع من مبادئ استقتها من الاسلام ، ثم تمني الكاتب عودة جرير لعصرنا لتستقيم حياتنا وفق قيم إيمانية سليمة ، استتبع الكاتب بنقد لأحوال المجتمع في التقليد الأعمى للحضارة الغربية بما يتنافى مع مبادئنا السامية والصالحة لكل مكان وزمان

من خلال هذا العرض نلاحظ أن المقال بُني علي فقرات متعددة وفي سياق مسترسل في الأفكار التي تصب جميعها في فكرة الكاتب التي لم يخرج عنها فيما يتصل بالتراث والقيم والحفاظ عليها وترسيخها في ظل الربط مع الحداثة لبلوغ الهدف من تحقيق الرؤية التي بُنيت علي قاعدة راسخة (مجتمع حيوي) استقت منها دعائمه.

الفكرة جيدة من حيث الربط بين الأصالة والمعاصرة ، حيث برع الكاتب في استخدام عنصر الجاذبية في المقال من صياغة اللغة وجمال الأسلوب بالتشويق في المقدمة والقفز بين الفقرات في انسيابية ، وفي استخدم الألفاظ السهلة التي تأتي في متناول القارئ مما يجمع بين الفهم وجذب الاهتمام وبالتالي يؤدي إلي زيادة معدل سرعة القراءة وهي عناصر أساسية يتبلور حولها مفهوم الإنقرائية.

يعالج المقال شأناً عاماً لكل أطياف المجتمع ، وفي كافة الأصعدة ، حيث تناسبت لغة المقال مع مضمونه وفكرته في سياق اللغة الصحفية.

يندرج المقال ضمن الخواطر والتأملات الفلسفية في تواصل بين الماضي والحاضر فيحمل رؤية الكاتب نحو أخذ العبرة والعظة من القصص السالفة والتي تحمل قيماً أخلاقية نفتقدها اليوم ، فيما ابتعد الكاتب عن المضمون الرمزي في الألفاظ مما ييسر علي القارئ .

استخدم الأدلة والشواهد علي صدق حديثه نحو الحس المرهف المستشف من استشهاده بالأثر من خلال القصة الواردة في عنوان المقال، ومضمونها المتجه إلي تصوير ما يتمخض عنه المجتمع من سلبيات يبرزها الكاتب في أسلوب راقٍ حيث اهتم بعرض العبر والمواقف وتفسيرها كما قدم الجانب الإنساني ليقترب من الواقع في محاولة لاستثار النفوس لبلوغ هدفه الذي يطمح إلية تحقيقا للرؤية من خلال التمسك بالقيم والمبادئ.

جمع الكاتب في أسلوب التحرير الصحفي للمقال بين الصحة النحوية والصرفية والصحة المنطقية للبناء الفكري للنص الصحفي بحيث كانت النتائج متفقة مع المقدمة وحيث وضح الأسلوب العام في صحة متطلباته من بساطة ويُسر دون غموض .

تخللت ثنايا المقال فكرة الأثر والتمسك بالقيم والعمل علي تنمية الثوابت ، ومن ثم عزم الهمم وتحديث الفكر نحو مستقبل مشرق من خلال استثمار الأفكار وتنمية الثقافة المحلية بعيدا عن التبعية الثقافية.

المقال الثالث:

خلك رجال[٣٠]

"المرجلة" مفهوم واسع لمعاني الشهامة، والطبع الأصيل، والكرم، ودماثة الخلق، وأصالة الفكر، وطيب الأفعال وقوة الشخصية، وامتداد الأثر والنفع.

هي الصفة التي عندما تنتفي في الذكر فإنه لا يعود ذكراً؛ بل يصبح عالةً على صنف الرجال بأكمله!

ولا يوجد أبٌ عربي أصيل إلا ويحلم ويتمنى أن يكون ابنه "رجال"، وتلك كلمة تقتضي الكثير من المفاهيم –الآنفة الذكر- والتي يَفترض بعض الآباء أنها ستُحقن في أبنائهم تلقائياً مع لقاحات التطعيم ربما!

فيمضي الابن ثلاثة أرباع يومه مع والدته وأصدقائه وأجهزته وألعابه، ويقابل والده في مشهدٍ قصير ليختتمه الأب بمقولته:

"خلك رجال وامش زين".

"خلك رجال وتكلم زين!".

"خلك رجال وألعب زين!".

"خلك رجال وادرس زين".

وتطول القائمة!

وتتعدد التوجيهات والأسلوب واحد...

عفواً عزيزي الأب الفاضل، دعني أذكرك هنا بقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني.. ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

التربية جهد مستمر، وحكمة بالغة، وصبر جميل، بوعيٍ وثقافة، ولو كانت في أوامر محدودة نلقيها على مسامع الأبناء في دقائق سريعة، ثم ندلج لنكمل مسيرة يومنا بدونهم، لما كانت تؤلف كتب التربية، ولما احتاج الناس للدورات والاستشارات التربوية، ولما افتتح في الجامعات قسم خاص لتدريسها.

[٣٠] -صحيفة سبق ، مها عبدالله الحقباني ، ١٣ ديسمبر ٢٠١٨ - ٦ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ.

وإذا كنت تعتقد أنه بإلقائك تلك الجمل الغاضبة أنك تربي، اسمح لي أن أخبرك الحقيقة: أنت لا تفعل شيئاً سوى أنك تؤخّر من مسيرة ابنك نحو "المرجلة"!
وعندما تصرخ في وجهه في كل مرة يخطئ، فأنت تؤخرها أميالاً.
وعندما يكون ديدنك في "ضربه" هو وسيلتك في التربية إن شئت أن تسميها كذلك، فأخشى ألا يذوق قوة الشخصية، إلا من رحم ربي.
وإن جاءت الآن المقولة الشهيرة في ذهنك "انطقينا وما ضرنا"، أقول لك: كنت أتمنى أن يكون الأثر ملموساً حتى نراه، ولكنه أثرٌ لا يرى بالعين المجردة، ولا حتى بالمجهر!
إنما هو أثرٌ سبّب الكثير من الجفاف العاطفي لدى الكثير من الضحايا، وأدى لضعف الثقة بالنفس عند فئةٍ لا يستهان بها، وصعوبة في اتخاذ القرار عند آخرين، وخوف من الظهور عند ثلةٍ أخرى، أو قوة تغلبها قسوةٌ في غير محلها، أو جبروت في قالبٍ خادع عند بعضهم، يخفي في داخله هشاشة وضعف.
والمصيبة أن أصحاب تلك "العاهات المشاعرية" و"التصدعات النفسية" لا يعلمون، نعم لا يعلمون أن أسبابها وجذورها تمتد إلى ذلك الوقت الذي كانوا فيه يُضربون كثيراً ويتألمون ويمتعضون، ولكنهم يحبسون نار غضبهم؛ خوفاً من المزيد من الإهانة أو التحقير. ليس ذلك فحسب، بل يعتقدون بكل ثقة أو مكابرة على الأرجح أن كل ذلك لم يضرّهم، ويستمرون في استخدام نفس الأساليب العقيمة في تربية أبنائهم، وتستمر الحلقة المفرغة!
أيها الأب المربي
عندما تقول لابنك "خلك رجال"، فضلاً وضح قبل كل شيء ما تقصده بذلك المفهوم المبهم لديه، فقطعاً أن ابنك يفهم كلمة "رجال" بأنها تعني عكس "المرأة"، ولا يعلم ما تريد أنت من خلالها ولم تقولها بتجهّمٍ كل مرة!
علّمه المرجلة أفعالاً لا أقوالاً، وأظهر له الصفات الحسنة فيك قبل أي مكان آخر، درّبه على تلك المفاهيم وصاحبه حتى يتشربها مع مرور السنين. ولن يحدث ذلك وهو يمضي ساعاتٍ أمام أجهزة إلكترونية أو في اجتماعات النساء، ولن تستطيع أن تطبع فيها مزايا الأخلاق دون أن تصحبه بشكل يومي للمسجد، وبشكل دوري في زيارات ولقاءات أسرية، و"مشاوير" وأنشطة مشتركة بينكما.
أيها الأب المربي
"إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه" صدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.
والرفق يعني:

أن تختار أفضل الألقاب عند ندائك لابنك، ولا تعتقد أن نداءك الغاضب أو الجاف سيزيده رجولة أو خشونة، بل سيزيده حقداً وخوفاً وضعفاً داخلياً في كل مرةٍ يسمع فيها اسمه بلسانك الحنق!

محالٌ أن يتحوّل ذلك الخوف والمشاعر المضطربة بينكما لقوة وسلامةٍ في الشخصية عند الكبر إلا ما شاء الله أن يتولّاه برعايته.

عزيزي الأب..

قد تعتقد أن الأم مكلفةٌ بالتربية، والوالد مكلف بالإنفاق، فإن كنت كذلك كان الله في عون زوجتك؛ لأنها مهما فعلت لن تستطيع أن تكون رجلاً.

ولكنها ستحاول أن تلعب الدورين في حال غيابك أو تقاعسك، وكم هو صعب ومضنٍ لها.

إنّ واقع الأمر أن الأب مكلفٌ بالتربية، ومكانته ودوره لا يملأهما أحد سواه، فمنه يستمد الأبناء قوتهم ومنه تستمد الأسرة تماسكها، فإذا كان ذلك الأب يوكل تلك المهمة للأم ستهتز تلك الأسرة ويميل البنيان.

وقد نصادف على النقيض بعض الآباء المصابين بـ"هشاشة العاطفة"، فهم يجعلون أبناءهم في فقاعة حماية وخوف وحرص وعطفٍ مبالغ يقتل كل أصناف المسؤولية فيهم، فيكبرون وهم فاقدون لكل معاني القوة والتحمل والاعتماد على النفس.

فلا تكن صلباً فتُكسر ولا ليناَ فتُعصر.

أيها المربي الفاضل والأب الكريم..

إن كنت تريد المرجلة في ابنك، فالزم تلك القاعدة الذهبية:

"لاعبه سبعاً، ثم أدبه سبعاً، ثم صاحبه سبعاً".

فـ"اللعب" مفتاح التربية وأقصر الطرق للوصول للطفل.

و"التأديب" لا يكون إلا بالحب والرفق والغرس المتكرر دون غضب ولا تحقير ولا إهانات مدمرة.

أما "الصحبة" فهي نهاية الرحلة، فقد غرست ثماراً، وآن الأوان لتصحب ذلك الشاب الذي ربّيت صديقاً ورفيقاً ومستشاراً خاصاً لك.

وهنيئاً لك بذلك الحصاد.

- **جدلية اللغة والفكر:**

استخدمت الكاتبة مفردات العنوان باللغة العامية، القريبة من القارئ السعودي الأمر الذي يؤثر في استدراج القارئ لقراءة المقال فيحس أن المقال موجه إليه ، والخطاب عمم لهذا الغرض ، وهو استمالة القراء والتأثير فيهم .

بدأت الكاتبة المقال بمقدمة وضحت فيها معنى الرجولة لفظا وصفات ، وإن لم تكن المقدمة توحي بالهدف الأساس من المقال ، إلا أنها استهلال للربط بين المعني الحقيقي الذي تبعه في متن المقال حيث بدأت الكاتبة متن المقال بمقدمة تشف عن رفض لأساليب تربية الآباء لأبنائهم من خلال قائمة لمعانٍ تقال لفظا لا فعلا، الأمر الذي يحتاج وقفه من كل مربٍ فاضل ، ومن ثم بدأت جسم المقال برسالة لكل أب عنوانها "عفوا عزيزي الأب الفاضل" فيما استشهدت مباشرة بمقولة الشاعر " وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا" في بادرة تسقط على ما قبلها من قائمة لألفاظٍ تؤكد أن الأمر أصعب وأعم وأشمل من كونه كلاما .

تتضمن الرسالة الموجهة من الكاتبة للآباء كماً متنوعاً من الممارسات ، بدأتها بتعريف التربية و أهميتها ، وأوردت بعض السلوكيات السلبية التي يتبعها الأب في أسلوب معاملته مع أولاده ، وفي الفقرة التي تليها تحدثت عن تأثير التعنيف على الأبناء ، ثم عددت الشخصيات الناتجة عن ذلك العنف، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد بل يتخطاه لأبناء يسيرون علي دروب آبائهم في معاملاتهم مع أبنائهم ، وهي إن تعرض هذا الأمر تستنكر هذا الإرث الذي يُخلف شخصيات غير واعية بمدي خطورة التعامل المبني علي العنف والصد والصلابة والقسوة فيما لا يدرك كل جيل لما في شخصيته وما اكتسبه وتأثر به دون وعي بل ويكسبه أبناءه .

في الفقرة الخامسة من الرسالة توضح أساليب وصول الأب بأبنائه إلي مصاف الرجال فعلا لا قولا من خلال النصائح التي تُجملها حول كيفية احتضان الابن .

وفي الفقرة السادسة تستشهد بقول رسول الله صل الله عليه وسلم وتورد معاملته لأبنائه ، وتؤكد من خلال أربع فقرات حول الرفق (في نداء الأبناء ، والمخاطبة ، التغافل عن السيء، وإبراز الحسن من الأقوال والأفعال ، و إشعار الابن بالحب والإعجاب به وبتصرفاته).

وفي محاول لتغيير لغة الخطاب من اللوم والعتاب للأب المربي تحاول الكاتبة طمأنة الأب إنه باستخدامه للين والرفق والنصح والاستماع والهدوء في التعامل سيغنم أبناءه ، ويصل بهم إلى الرجولة الحقة، ثم تقص الكاتبة مثالين لابد ، وأن يكونا حدثا في كل بيت مع الأبناء وتعبر عن الشكل السليم للتعامل في هذه المواقف بالحسني لا بالعنف والقسوة ، وإن كانت تُجسد صورة حقيقية لمثال حدث بالفعل ، فتُرجع الذاكرة وتُعمل العقل لاسترجاع ذلك الموقف ، وكيف تعامل معه الأب وقتها فتضعه في ملامة لذاته وتأنيب لضميره ، وقد يقرر أنه لم يكن على صواب فيراجع نفسه.

وفي الفقرة السابعة من جسم المقال ، تؤكد على خطأ المفهوم السائد من ألقاء العبء والمسؤولية علي الأم في التربية وعدم الاحتياج للأب ، وتؤكد أن الأب مكلف بالتربية ومكانته بين أبنائه لا يعوضها أحد.

في الخاتمة جمعت الكاتبة كل النصائح التربوية في القاعدة الذهبية المتفق عليها " لاعبه سبعا، ثم أدبه سبعا، ثم صاحبه سبعا" وسردت معناها وأوضحت آلية تنفيذها . ختمت المقال بجملة " وهنيئا لك بذلك الحصاد" وهي جملة موحية بالتفاؤل والغبطة التي سيلقاها الأب إذا التزم الأسلوب الأمثل في تربية أبنائه ، وهو الهدف الذي تسعى الكاتبة لإيصاله ، حيث يأتي الحصاد بعد الجهد والعناء الذي يهنئ به الأب ، فيسعده ويُثلج صدرة ويشرح سريرته.

استعمال أسلوب النداء في بداية المقال وبين ثناياه يبرز التنوع في العرض والقرب من الأب وكأنها الناصح الأمين على مصلحة أبنائه ، والتكرار مكّن المعنى في ذهن القارئ وقرره في ذهنه ، هادفاً من وراء هذا التمكين إلى تصحيح الخطأ ، وقد استخدمت الكاتبة صيغة المفرد لا الجمع وكان من الممكن النداء أعزائي الآباء إلا أن الخطاب موجه لكل أب وكأن الرسالة تحمل الخصوصية لتوحي بالقرب من هذا الأب دون غيره.

استعملت الكاتبة عند النداء أجمل الصفات المعبرة (الفاضل ، المربي ، والكريم) عن المعاني التربوية فيما أدرجت كل معنى في الموضع الذي يتوافق مع الفقرة التي تليه ، فالأفضلية تأتي من صيغة التفضيل التي تعني ذو الفضيلة ، وصاحب الدرجة الرفيعة والذي يتصف بحسن وكرم الخلق ، والكريم لفظ يأتي من حسن الجود والإسهاب في العطاء فالكرم مادا ومعنوي، أما وصف الأب بالمربي صفة ووظيفة تعني الاهتمام بكل من يخص الأبناء من تعلم وتدريب وتأهيل وتربية وهي بذلك تشمل كل الصفات المنبثقة منها أصول التربية .

استخدام أساليب التوكيد يبرز المعنى ويقويه ويؤكد علي أهمية الالتفات للمعاني التي تتبعها حروف التوكيد ، كما أن استعمال أدوات الاستثناء يوحي بالمفارقات بين المواقف ويؤكد رؤية الكاتبة ، والنفي والنهي جاءا في المقال للتأكيد على درء القيم الخاطئة في تعنيف الأبناء والتعامل بالرفق بدلا من ذلك.

التكرار في عبارة " الرفق يعني " يوحي بالتأكيد علي أهمية الرفق ، معني وشكلا ومضمونا وهي في كل مرة تتحدث عن معنى مختلف عن الرفق.

تخيرت الكاتبة الأسلوب الخطابي الذي يمتاز بالسهولة في العرض ، واليسر والسلاسة في القراءة فالألفاظ موحية ومعبرة ومألوفة لدي القارئ، استخدمت أعذب الكلمات في خطاب ودي دون توبيخ أو تأنيب مباشر ، منتهجة سبل الموعظة الحسنة، وقد استشهدت بأمثلة تحدث واقعيا لإثارة حفيظة الآباء ووضعهم في موضع المراجع لمواقفه ، أسلوب المقال يتوازن ما بين النقد المهذب وتوجيه النصح والارشاد مع استعمال أفعال الأمر بأسلوب راقٍ، ليس به فظاظة ، فلا يؤدي إلي النفور وإنما تستحث مشاعر الأبوة ، ومكانها باللين تارة وبالشدة في القول تارة أخرى، حتي أن القارئ يخرج من المقال بحالة انفعالية يحمل في صدرة كل مكامن المشاعر الجياشة

نحو أبنائه ، وبذلك فإن المقال يؤتي ثماره في ترسيخ المعنى ، والهدف الذي حاولت الكاتبة تحقيقه من خلال رسالتها المتضمنة لأهم وأجدى القيم التربوية الصحيحة.

يقع المقال ضمن المقالات التربوية والاجتماعية أيضا ، وإن لم يكن حديثة عن المعلم والعملية التعليمة في المدرسة ، إلا إنه تناول دور الأب علي الصعيد التربوي والتوجيهي، وأهمية وجوده في حياة أبنائه معلماً وموجهاً وأباً.

يُعاب علي المقال أنه ذا مدلول ذكوري اهتم بتوجيه النصح في تربية الذكور دون الإناث ، ويبدو ذلك جليا من اسم المقال وتعريف معني الرجولة الوارد في المقدمة ، وفي ثنايا الخطاب الموجهة للأب ، وإن كان في بعض المواضع يتحدث عن التربية عموما من خلال الحديث إجمالا عن الأبناء ولكن صُلب الموضوع " خلك رِجال " والرجولة صفة الذكور لا الإناث.

يؤكد المقال علي أن تمسك الآباء بقيم التربية الأصيلة هو معول البناء نحو استثمار النفس والفكر داخل جيل الأبناء الذي يمثل المستقبل ، والفخر للأب بشخصه والأمة بكيانها، نحو عقول نابضة مفكرة مستثمرة ونفوس هادئة مطمئنة واعية قادرة علي اجتياز رهانات المستقبل بما تقدمه من عوائق وحواجز.

المقال الرابع

علبة سردين أو صحن فول[٣١]

يرى صديقنا الذي يشبهنا ونشبهه أن لاشيء بقادر على استلاب رجل الوعي إذا هو أراد أن يكون حراً . وأن حجة من يبررون استخذَاءهم بلقمة العيش حجة داحضة تقوم على خداع الذات قبل خداع الآخرين،فطالما كان بإمكان المرء أن يسُد جوعته بعلبة سردين ، أو بصحن فول ، فإن مامن قوة في الأرض تستطيع من هذا الباب أن تقهر ذوي الألباب على أن يكونوا لها من المسخرين ، وبما تمليه عليهم من الناعقين.

لا حجة إذن لمثل هؤلاء الذين يبيعون أنفسهم بثمن بخس ،أو بأي ثمن كان دفعاُ فيما يزعمُون لغائلة الجوع عنهم ، أو عن أولادهم ، وقديماً قال العرب:تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ،فليس شبح الجوع إذن هو الذي يهوي بهم إلى سواء الاستخذاء، ولكنه الجشع،وصغائر الأنفس وقديماً قال العرب أيضاَ:أذلَ الحرصُ أعناق الرجال.

إن مما لاريب فيه أنه قد تمر برجل الوعي أيام يكون فيها أكثر خلق الله حاجة إلى المال لصرفه في وجوهه،وليسد به ثغور الحقوق ويستجيب به لمروءاته،بيد أن ذلك لايشينَه لافي عينيه ولا في أعين الناس ،إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ،وإذ

[٣١] - إبراهيم العجلوني ، جريدة الرأي ، مقال نشر عام ٢٠٠٨م

الجود في الموجود كما يقول العرب الذين نحب أن نستشهد بما يقولون في مقامنا هذا، وإذ الغني غني النفس ولا بأس إن كان هذا الغنى أن يكون المرءُ صفرَ اليدين،وقديماَ قال العرب : وكم للعرب من حكمة بالغة ؟ ومن مثل سائر ؟بيت رجال ولا بيت مال،فمن عدم الرجولة ، وأولُ تجلياتِها الصدقُ فهو في أشد الفقر ولو كانت أمواله أكثر شئ عدداَ ومن عدمها من رجال الفكر والقلم، فقد عُري من فضائل العقل وكان هو أفقرُ الناس ولئن انتفخت جيوبه وبشُمت خزائنه.

على أن الأمثلة والدروس المستفادة من تاريخنا العربي والإسلامي كثيرة ، إلا أن أدناها رحماً إلى موضوعنا هذا موقفُ الإمامِ أحمدُ بن حنبل ، الذي رفض عشرة آلاف دينار ، من الخليفة المتوكل ، وأمر بتوزيعها - حين خشي رسول الخليفة العودةَ بها إليه - على الفقراء والمعوزين ، ثم تناول على الغداء قليلاً من الباقلاء ، غمسَه في الماء ، وحمد الله ، ومضى فيما هو فيه من تعليم الناس كتابُ الله وسنةُ رسوله الكريم . كان قليل الباقلاء قد جعل الإمام في غِناء عزيز عن كل عطاء. فهل تغني علبة سردين كاتبنا الفطين ؟ فيما نرجو له من عزة نفس عن أن يكون في زمر المستخذين في زمننا هذا الضنين ؟ أو هل يغنيه صحن فول عن الدخول فيما قد يقتل روحه من معقول في المُهلكات أو لا معقول ؟.

- **جدلية اللغة والفكر:**

يندرج المقال ضمن مقالات اليوميات ، وهو الأقرب إلي العمود الصحفي بما يحمله من خصائص في سياق اجتماعي يقترب من القارئ ويعبر عن رأي الكاتب في معايشته للواقع من خلال الرصد لحالات حياتية ورؤي فكرية .

جاء عنوان المقال محدداً تحديداً دقيقاً ، وفيه تشويق للمتلقي ؛ لأنه يوحي إيحاء غير مباشر بالفكرة المراد طرحها (الجشع) و هو يحمل دلالة شعبية عامة ، فعلبة السردين أوصحن الفول قليلا الثمن ،ولكنهما يحدثان عند المرء إشباعا كاملاً ، و إمتلاء لمعدته وهو من خلاله يوجه مسار المقالة (علبة سردين أو صحن فول) توجيهاً أخلاقياً.

يحمل المقال مقدمة استهلالية تؤكد وجه نظر الكاتب بضرورة التمسك بالفضائل مع ضيق الحال وإن استخدم الكاتب صيغة الفعل المبني للمجهول في المقدمة ، هذا الأمر الذي لا يحبذ فيه هذا الاستخدام وكان الأجدى توظيفها في إطار تفاصيل المقال حيث يفهم الفاعل من السياق ، إلا أنه أسلوب من أساليب جذب القراء واستمالتهم .

وأما طريقة بناء المقال فقد خالف الكاتب فيها المعتاد - اتباع الشكل الهرمي المعتدل- إذ استخدم الهرم المقلوب ، فبدأ بالنتيجة الحتمية للفكرة في المقدمة ، التي لا خلاف عليها وانتهى بالخاتمة التساؤلية دون أجوبة ؛ ليفتح المجال لإجابات أوحى بها

ولم يصرح ، إذ أنه أراد للمتلقي أن يجيب إجابات أطرها بالشواهد التي أغنى بها المقال ، وأرادها أن تكون مؤسسة لمنظومة القيم في المجتمع.
جسم المقال تضمن ثلاث فقرات ،الفقرتان الأولى والثانية تضمنتا أقوالاً مأثورة عن العرب احتجاجاً للرد على من يبيعون أنفسهم وأفكارهم بثمن بخس ، إذ يؤكد أن ضيق الحال لا يعيب صاحبه، بل يرفع من قدره في نظره وفي نظر الآخرين إن كان نتيجة مبدأ يناضل لكي لا يخسره ، أما الفقرة الثالثة فاستهلها الكاتب بمثال من التراث الاسلامي لموقف حقيقي للإمام أحمد بن حنبل ورفضة المال بعزة نفس وإباء من الخليفة المتوكل.

تضمن المقال بعض المفردات غير المألوفة مثل (الناعقين ، غائلة ، بُشمت و الضنين) ، وإن كانت قليلة الاستخدام ، إلا أن فصاحتها في هذا السياق كان الهدف الأبرز لاستخدامها ، وعلى الرغم من عدم وضوحها ، إلا أن ذلك الأمر الذي لم يؤثر على جودة الفكرة المراد طرحها ، إذ ضم المقال في ثنياه جملاً قصيرة بلغة رصينة أقرب إلي النثر الصحفي من العامية الدارجة ، حيث ترك الكاتب بصماته في أسلوب العرض الشيق الاستشهادي في محاولة لإثبات وجه نظره وتأكيدها . فبدأ المقال موجزا في عباراته دون إسهاب مخلّ بالمعنى حيث جمع بين بساطة اللغة الصحفية وجمال اللغة الأدبية التراثية.

ومن ناحية طرافة الفكرة ، نجد أنها ليست بالجديدة ، إنه مؤشر على ناقوس خطر يهدد مجتمعاتنا نتيجة اللا مبدأ ، صحيح أن هذا الناقوس دقه قبله الكثيرون إلا أنه جديرة بمعاودة الطرح بمكملات جديدة تبرز أهميتها وخطورتها ، وهذا ما أراده الكاتب من خلال تمرير قناعات للقارئ تجملها سلوكيات لممارسات مطلوب إنجازها ، نجدها أقرب ماتكون إلى الحصانة المجتمعية ، وفي سبيل ذلك فندّ الكاتب أهم مبرر لزعزعة تلك الحصانة من خلال أقوال مأثورة وممارسة واقعية ليحاجج كل متسول ومتساهل بقيم النزاهة وبيع النفس باسم الحاجة والضرورة ؛ لأن فضيلة القناعة والنزاهة ليس لها وجهان إما أن يكون الإنسان حراً كريماً ويتحمل تبعات وجوده المشرّف في الحياة باحثاً عن مقومات لهذا الوجود ضمن المحيط الذي تهيئة له الامكانيات المتاحة ، أو لا يكون إلا نقيضاً للفضيلة فيغدو الإنسان معول هدم للمجتمع بدلاً من أن يكون دعامة بناء وتنمية مستدامة
كانت لغة المقال أقرب إلي الواقع المجتمعي المعاش ، حملها الكاتب روابط ثقافية من التراث العربي الاسلامي ؛ لأنه يمتلك قداسة القيم في نظر القراء .
عبر الكاتب من خلال التمسك بالسلوكيات الحميدة علي ترسيخ الفضائل من قناعة وعزة نفس، لتثبت أن الموروث الثقافي سيظل الفكر النابض للمجتمع مهما حاول التغريب محوه، فيؤكد الكاتب ضمنيا علي امتداد الجذور الأصيلة المتمسكه بالأرض

الثابتة المتمثلة في القيم بالفروع اليانعة المورقة والتي يرسخ من خلالها استثمار الفكر وصولا لتقدم ليس زائفًا ، لكنه بني علي ثوابت رصينه لن تزول.

المقال الخامس

لماذا نحب الحب؟ [٣٢]

كلنا نحب الحب، أليس كذلك؟ نحب أن نقرأ عنه قصيدة أو قصة، وكلنا نحب أن نشاهده في فيلم أو صورة تعبيرية، نبكي على فراق الأحبة الذين نتابع حكاياتهم على الورق أو على الشاشات ونضحك معهم عندما نراهم سعداء. كل ذلك الكم الهائل من الحب المراق على صفحات الدواوين الشعرية والمؤلفات الروائية والأغاني التي تتردد أصداؤها في بيوتنا ومقاهينا وقاعات احتفالاتنا والكلمات الجميلة المثالية حينا والمترعة بالحزن أحيانا التي تكتب عنه في كل مواقع التواصل الاجتماعي.. كل ذلك يجعلنا نتساءل أين هذا الحب وحب الحب على أرض الواقع؟ لماذا لا يظهر في كل مكان؟ لماذا لا يغلف كل الأشياء التي نتعامل معها والأحداث التي نتفاعل معها؟. ربما لأن كثيرًا من الناس يوصدون الأبواب المؤدية إليه ويكتفون بالقليل المتعارف عليه منه كحب الأهل، الأمهات، والآباء، والإخوة والأخوات، وقليل من الأصدقاء والمعارف والحبيب والحبيبة وهما اللذان تسببا في تحريك مشاعر الناس جميعا من خلال القصة والقصيدة بغض النظر عمن يعيش هذا النوع من الحب في الواقع أو الخيال. من خلال تجربتي في الكتابة عن قصص العشاق المغناة أو أي عبارات عاطفية أدونها في مواقع التواصل الاجتماعي وما يكتبه غيري أيضا ظهر لي أن كثيرًا من الناس بل الأغلب منهم يتأثر جدا بتلك الكلمات ويتفاعل معها وكأن الكلمات العذبة التي تعبر عن المشاعر العاطفية لها فعل ساحر يبرز رقتهم ويفيض بمعدن الحب المتأصل في النفوس ولكن لو رحت تبحث عنه في جوانب الحياة الأخرى لما وجدت منه إلا القليل جدا. حتى أولئك الذين يمررون رسائل الواتساب التي تحمل شيئا من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة رضي الله عنهم أو الفلاسفة والمفكرين المؤثرين لا يتوقفون ليسألوا أنفسهم ما مصدر تلك الأخلاق الراقية العظيمة التي ينادون بها عبر الرسائل ويتواصون بالعمل بها وكأنها أعمال شاقة على الإنسان أن يتدرب عليها حتى يتقنها لأنها صعبة! ولم يفطنوا أن تلك الأخلاق لم تظهر إلا من نبع الحب الذي لا يتوقف في تلك النفوس. كان رسول الله يوصف بأن (خلقه القرآن) والقرآن يقول: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وهذا الجزء من الآية جاء في معرض الكلام عن الارتداد عن الدين وصفات المؤمنين وهذا يؤكد أن الحب هو أساس الصلة بين العبد وربه وبين الله وعباده ومن هذا الأساس تصدر كل الأفعال التي يفترض أن تكون متناسبة ومتناغمة مع الأساس حتى الغضب وهو أسوأ

[٣٢] - أمل عبدالله الطعيمي ، جريدة اليوم ، مقال نشر في ٢٠١٧/١٠/١٥م

الصفات لكنه قابل للحب فإما أن تغضب لأجل الحب أو تطفئ غضبك بالحب.. ولكن هذا لا يحدث في كثير من الأحيان لأن الغضب الأعمى لا يبصر الحب، والمؤسف أن كثيرًا من ردود أفعال البشر لا تبصره أيضا فقد ترى شخصًا رقيق المشاعر ذا أخلاق رفيعة ولكنه يتعامل مع الآخرين بقسوة غريبة إما باللفظ أو بالفعل ويبقى السؤال معلقًا.. لماذا نحب الحب ولا نعمل به؟ ولماذا نظهر ما هو ضده تماما ونحن نعرف أن سيد الأخلاق يقول (حرمت النار على كل هين لين) ونعرف جيدا أن الهون واللين هما من نواتج الحب ولكن أين هما؟ إن الإجابة عن كل تلك الأسئلة قد تكون مهمة شاقة وطويلة حين نبحث عن أسباب بعدنا عن الحب فلكل فرد منا أسبابه الخاصة، ونشترك جميعا في أسباب عامة خاضعة للظروف البيئية بكل فروعها ولكن من أهم الأسباب سواء خاصة أو عامة هو الشعور بالنقص الذي يحاول الناس أن يعالجوه بما يتوهمون أنه الوسيلة المثلى لإظهار عكس شعورهم، ومن هنا تتعارك الفطرة مع السلوك وفي الغالب ينتصر السلوك ويبتعد المرء عن فطرة الحب التي أودعها الله فينا فيصدر عنهم العنف اللفظي والجسدي. تأملوا وتفكروا " يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" .

- **جدلية اللغة والفكر:**

يأخذ المقال الطابع الاجتماعي انسجاماً مع ظاهرة تسردها الكاتبة أمل عبد الله الطعيمي ، وهي الشعور بالحب وعدم اظهاره ، حيث تُظهر الأحداث اليومية المحيطة بالكاتبة، والتي سردتها من خلال لغة واضحة قريبة إلى النفس دون تكثيف أو ترميز، إذ كانت المكاشفة السمة الأبرز في اللغة المنجز بها المقال ، وكذلك اتسمت اللغة أيضاً بالصدق الواقعي ، إذ تقصدت الكاتبة كشف جوانب متفشية في المجتمع من خلال ماتشاهده ، أو تحسه ، هذه الظواهر التي تسهم في تقويض الجانب الإنساني من المجتمع ، والغريب أن الجميع يمتعه الحديث عن الحب ، أو ملاحظته ، من خلال الممارسة اللغوية فقط إنتاجاً أو تلقياً ، أما الممارسة الواقعية فلا تتوفر لها أسباب الوجود بالفعل ، وهذا ينبئ عن الفجوة بين التنظير والممارسة .

إن الكاتبة بحسها التوعوي تلمست عوامل الخطر في جانب قد يستهين بعضهم بإظهاره ، أو قد يتعمد بعضهم التكتم عليه لأسباب عدة ، ولذلك شرّعت قلمها منتفضة لتسليط الضوء على الفجوة النفسية التي تتسع بين ماهو كائن وبين ماينبغي أن يكون في واحدة من القيم المجتمعية المهمة لبناء الإنسان بناءً سليماً في كنف مجتمع أيقونته الحب قولاً وفعلاً .

والمقال يتضمن توجيهاً حجاجياً قائماً على تقنية الاستفهام المحفزة لفكر المتلقي ؛ لا للإجابة عنه ، وإنما رغبة في إقناع المتلقي بتغيير سلوكه ، ولأجل هذا الغرض استشهدت بأدلة مرئية ومحكية لاستقباح عدم الانسجام بين القول والفعل في الحب ،

والاستفهام الإنكاري والاستلزام الحواري كانا عنصرا حجاج مهم أسهما في نماء النص واستدراج المتلقي إلى تلمس فداحة الخطر الناجم عن إفراغ الإعجاب بالحب من الممارسة السلوكية بوصفه منهج حياة حث عليه ديننا في القرآن الكريم ، وفي الحديث النبوي الشريف.

تميز المقال ببساطة الأسلوب ، والبعد عن الألفاظ غير المألوفة فيما يقترب من الحياة اليومية التي يعاصرها القراء في غير تكلف ، ولم تُخل الكاتبة بالفصحى الميسرة القريبة من ذهن القارئ.

واستخدمت الكاتبة الأفعال المضارعة للدلالة علي الحدوث المستدام للظاهرة ، وعبرت من خلال الفعل المبني للمعلوم كونه الأكثر حيوية وجاذبية، وكثرت الجمل المركبة عن الجمل البسيطة إلا أن المعاني سهلة وواضحة مما يسهل الفهم الذي يعد أحد خصائص الأنقرائية.

ظهر تكرارٌ لظاهرة التدليل على أهمية ممارسة الحب من خلال الآية الكريمة " يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" ، وكذلك استشهدت الكاتبة بالحديث النبوي الشريف " حُرمت النار علي كل هين لين " وهو استشهاد هدفه اقناع القراء ؛ لأن هذه الشواهد تكتسب صفة القطعية لقداستها ، والهدف من ذلك تأكيد فكرتها بأن المجتمع يعيش حالة صراع بين الرغبة والممارسة ، مما أوقعه بالتناقض بين الفكر كرغبة وبين اللغة كممارسة ، ورمى به بعيداً عن الفطرة و انتصار السلوك الذي ينتج عنه العنف السائد في المجتمع والذي يحول دون إظهار الحب ، الأمر الذي يجب تجنبه لما له من تداعيات على المجتمع بوصفه منظومة قيمية .

خلاصة الدراسة :

سعت الدراسة من خلال تحليل خمس مقالات بشكل عشوائي لقياس مدي اتساق فكر الكُتاب مع مفردات المجتمع ، واستخراج مدلول لغوي يشير الي الاستثمار الفكري في ثنايا الخطاب الموجه لغا وبلاغا، والذي اتضح من خلال الموضوعات التي ركز عليها الكُتاب من واقع حياتي.

مقال (أجيال دون ظلال) ، تحدث عن التنافس الفكري بين ثلاث أجيال متتابعة وعرض طريقة التفكير والاختلافات وأوجب علي حتميه وجود تزاوج بين الأجيال يثري الوجود المجتمعي ويساهم في بناء مجتمع متأصل.

مقال(فرس جرير ورؤية٢٠٣٠) يؤصل لمدي الأرتباط بين تعاليم الاسلام وتمسك الرؤية بها بما تحمله من حداثة حيث يتسق وجود تعاليم الدين مع فكر الأمة والبعد عن التبعية من خلال الاتصال بالتراث والقيم والترسيخ له والحفاظ عليه.

مقال(خلك رجال) هو مقال توعوي في اطار الفكر التربوي موجه للآباء ومعاون لفكرة الربط بين صلة الأبوة وتاثيرها علي التنشئة الأجتماعية، لأثرها في تشكيل جيل واعي، قادر علي مواجهة المستقبل في مقاربة بين فكر الاب وما تحمله

الحداثة من خلال التمسك بأصول التربية وما افرزه العلم من معان تربوية حديثة ، يحملان تزاوجا مؤثر نحو فكر جديد في التربية استقته الكاتبة من واقعها المجتمعي لذا فهو يمثل حقيقة راسخة لأغلاط قد تمارس تربويا يسعي المقال لنحرها واستبدالها بافكار ناضجة تدعمة الكاتبة بالأمثلة والعبر.

مقال(علبة سردين وصحن فول) يرسخ القيم والتعاليم من الموروث الثقافي حول السلوكيات والممارسات النابعة من الفكر السليم المطعم بفضائل العزة والكرامة وقناعة النفس وأستواءها، بما يحفز علي الثقة والأنتماء الوطني مهما اختلفت الظروف وصعبت.

مقال(لماذا نحب الحب) والذي يثير تساؤله معني قوي يجب ان يتحلي به المجتمع من محبة تحمل في طياتها كل معان التعاون والوفاق والايخاء علي المستوي الاجتماعي والذي يؤدي لتساهل في التعامل وحرية في الفكر بين البشر تقود نحو إعمال الفكر الذي بدورة يقود نحو تنمية مستدامة.

الخاتمة:

انتهى البحث إلى نتائج عدة من أهمها:

١. الاستثمار الفكري قضية أمن وطني تنموي ؛ يبدأ بالإنسان ويمر في كل مرحلة من مراحله بالإنسان ، لينتهي بالإنسان ؛ لأنه المقوم الأهم في منظومة التنمية المستدامة .

٢. من خلال البحث والتقصي وجدت الباحثتان أن مصطلح "الاستثمار الفكري" مصطلح عصريٌ وجديدٌ أفرزته التحولات الاقتصادية الراهنة .

٣. إن المقال الصحفي من أهم تجليات الاستثمار الفكري وأخطرها على حد سواء ؛ لأنه لاينقل الفكر عبر لغة حيادية ، وإنما يسهم في تشكّله وتوجهه ، وبذلك يمكن أن يعد خارطة طريق للاستثمار الفكري ، الذي يرفد المجتمع بموارد بشرية تنتج اقتصاد المعرفة لا اقتصاد المال ، لأن توفر الاقتصاد الثاني هو نتيجة منبثقة عن قوة الاقتصاد الأول .

٤. اللغة في المقال الصحفي تخاطب العقل عن طريق دعوته إلى إعمال الفهم، ودفع الفكر، وتفسير المحسوس، وشرح المؤثر والربط بين هذه كلها، وبين الفكرة التي يتناولها، والنتيجة التي يمكن أن يصل إليها ، ومن ثم التوجيه للفعل والإنجاز ، وكل ذلك يتم من خلال اللغة التي تنضبط بتوجهات الفكر.

٥. اتسمت لغة المقالات الصحفية – موضع الدراسة التطبيقية – بالمواءمة بين البساطة والوضوح ، والقرب من القراء لجذبهم ، وبين العمق في التفكير، وقوة التأثير ، إذ نجدها امتدت إلى ثوابت المجتمع وقيمه ، وهنا خطورتها ، وأهميتها في

آن معاً ؛ لأنها تشكل حجر الزاوية في بناء الفرد بناء سليماً ليكون ثروة قوامها رأس المال الفكري.

٦. علي جانب التناول أحتوت المقالات موضوعات ذات صلة بأهتمامات المجتمع علي الصعيد الإجتماعي والتربوي والاخلاقي و الثقافي .

٧. تبين من التحليل اتجاه المقالات في معالجة مختلف الأراء والقضايا نحو الربط بين الموروث الثقافي والديني كقيم مجتمعية مع الحداثة وكذا الربط بين السلف والخلف من خلال تأصيل الحاضر بمعاني الماضي والارتباط والتمسك بالقيم الأصيلة لاستمرار الاستثمار الفكري علي خطى ثابتة .

وختاماً توصي الباحثتان :

بتوجيه أنظار الباحثين لإجراء مزيد من الدراسات عن الاستثمار الفكري ، وكيفية إرساء دعائمة في التنمية المستدامة بوصفه – الاستثمار الفكري- الأهم بين الميزات التنافسية في المجتمعات، والذي من خلاله تتشكل المجتمعات وتنمو بعقولها قبل أموالها.

المراجع

علم اللغة بين القديم والحديث، عاطف مدكور، دار الثقافة والنشر والتوزيع،١٩٨٦، ص٤٩

تهذيب اللغة ، أبو منصور الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري المحقق: محمد عوض مرعب ، ط١ ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ،٢٠٠١م، مادة (ثمر)

لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل ، ط٣ ، بيروت: دار صادر ، ١٤١٤ هـ، مادة (ثمر)

محافظ الاستثمار إدارتها، واستراتيجياتها ، محمد مجد الدين باكير، شعاع للنشر والعلوم ، ٢٠٠٨ ، ص ١٥

الاستثمارات والأسواق المالية، هوشيار معروف، ط١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م ، ص ١٧

معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مادة (فكر)

الفكر طبيعته وأهميته ، عبد الكريم بكار ، مجلة البيان ، العدد ٩٦-شعبان ١٤١٦- يناير١٩٩٦م ، ص٢

الثقافة الإسلامية مفهومها ، مصادرها وخصائصا ، مجالاتها، عزمي طه السيد وآخرون ، ص٥٠

الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، حيدر عبد الرحمن الحيدر، ط١، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م، ص ٤٥

فن المقالة ، محمد يوسف نحم، ط٣ ، بيروت: دار الثقافة ،١٩٦٣- ص ٩٣-٩٥
فن المقال الصحفي ، سليمان موسى فضالة ، ط١ ، عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان : نبلاء ناشرون وموزعون ، ٢٠١٥ ، ص١٥
تاريخ الصحافة العربية ، أديب مروة ، (د.ت) ، ص ١٨٣
فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق «المقال الصحفي» ، محمود أدهم ، مكتبة الأنجلو مصرية (د.ت) ، ص١٣
رأس المال الفكري ودوره في جودة الأداء المؤسسي ، ميسون علي محمود عبد الهادي ، رسالة ماجستير : جامعة غزة ، ٢٠١٧م، ص١٧
المشاكلة والاختلاف ، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه المختلف ، عبدالله الغذاممي ، المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٤،ص٢٥
الكتابة الثانية ، و فاتحة المتعة ، منذر عياشي ، المركز الثمافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٩٩
اللسانيات والدلالة والكلمة ، منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري العربي : حلب ، ط١ ، ١٩٩٦، ص٧٤
النظرية اللغوية الحديثة ، جعفر دك الباب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٦، ص١٨٤
اللغة والتفسير والتواصل ، مصطفى ناصف ، سلسلة عالم المعرفة ١٩٣، الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، يناير، ١٩٩٥، ص١٠
التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، دار الشروق ، (د.ت) ، ص٩
تكنولوجيا تعليم اللغة العربية ، تيسير الألوسي ، مركز الكتاب الأكاديمي ، ١٤٣٦،ص٧٥
اللغة والتحرير الصحفي –قراءة في مفهوم اللغة الإعلامية وسماتها، محمد يرقان ، مجلد الحضارة الإسلامية، مجلد١٨-عدد١٤٣٩,١هـ-٢٠١٧م ص١٤
الخصائص ، أبو الفتح ، عثمان بن جني ، تحقيق علي النجار، دار الكاتب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ج٣٤/١.
فن المقال الصحفي في أدب طه حسين ، عبد العزيز شرف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص١٠٢.

المقالات الصحفية عينة الدراسة:

- أمل عبدالله الطعيمي ، جريدة اليوم ، مقال نشر في ٢٠١٧/١٠/١٥م
- إبراهيم العجلوني ، جريدة الرأي ، مقال نشر عام ٢٠٠٨م
- صحيفة سبق ، مها عبدالله الحقباني ، ١٣ ديسمبر ٢٠١٨ - ٦ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ.

- صحيفة سبق ، فرس جرير ورؤية ٢٠٣٠ ، عبد الرحمن القحطاني ، ١٧ ديسمبر ٢٠١٨ - ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٠.
- الجزيرة : إبراهيم بن عبد الرحمن التركي ، ١٥نوفمبر-٢٠١٨م ، صحيفة سعودية يومية تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ومقرها العاصمة الرياض. أسسها الشيخ عبدالله بن خميس وصدر عددها الاول كمجلة شهرية في أبريل ١٩٦٠م.

Doi: 10.33850/ajahs.2020.68016